المحاضرة3: الوظيفة الاجتماعية للغة

تمهيد

تنبه اللغويون إلى مثل هذه البحوث، بعد أن رأوا الدراسات، التي تقوم بها المدرسة الاجتماعية الفرنسية، التي أنشأها **"دوركايم Durkheim "**في أوائل القرن العشرين، وانضم إليها كثير من علماء اللغة في فرنسا وألمانيا وإنجلترا وسويسرا والدانيمارك، وكثير من أساتذة الجامعات في أوربا وأمريكا.

ومن العلماء من لم ينضم انضماما إيجابيا إلى هذه المدرسة غير أنهم تأثروا بعقلية "دوركايم" الجبارة، وبذلك أصبحت بحوث المدرسة الاجتماعية الفرنسية، أساسا للبحوث اللغوية في كثير من الأحيان؛ إذ طبقت نظريات علم الاجتماع العام على اللغة، وحاول الباحثون أن يبينوا لنا أثر المجتمع ونظمه وحضاراته المختلفة، على الظواهر اللغوية، باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي أولا وقبل كل شيء، ولذلك كانت اللغة كائنا حيا كالإنسان سواء بسواء؛ لأنها ألصق الظواهر الاجتماعية به.

1- الوظيفة الاجتماعية للغة

يقول فندريس: "في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم بينهم، وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص، الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفاتهم، الإشارة إذا أعوزتهم الكلمة، والنظرة إذا لم تكف الإشارة"[1].

وهكذا يرى "فندريس" أن اللغة تنتج من اللاحتكاك الاجتماعي، ثم تصبح عاملا من أقوى العوامل، التي تربط أفراد المجتمع الإنساني، ويرى علماء الاجتماع أن الظواهر الاجتماعية لها قوة قاهرة آمرة، تفرض بها على أفراد. **وقال أندري مارتيني** :" بأن اللغة فعل اجتماعي بامتياز، وأن اللسانيات كلها هي لسانيات اجتماعية ، وسار في الاتجاه نفسه ديل هيمس الذي جعل ما أسماه الملكة التواصلية أساس التصور القائم على ربط اللغة بمحيطها الاجتماعي"2،

تشير اللغة لجميع التعبيرات **(منطوقة أو مكتوبة)** والإشارات والحركات المستخدمة في عملية الاتصال الرمزي والتفاعل بين الأفراد ، وهي بذلك تُرى كمحادثة ايمائية تبدو من عملية التفاعل، وإذا كانت **الظاهرة الاجتماعية تعرف بأنّها**: تفاعل بين شخصين أو أكثر يتعين لاتمام التفاعل بينهما أن يمون الفعل الإنساني الصادر عن شخص مهين معتمدا على صدور فعل عن شخص آخر، وأنّ مجموعة الألفاظ والعبارات التي استخدمها للتعبير عن أفكاره بمثابة ظاهرة اجتماعية على نحو ما ذهب **"دوركايم"**، وأنّها بمثابة ضرب من السلوك يمتاز بقوة أمره تفرض نفسها على الفرد، **وعليه فاللغة ظاهرة اجتماعية**

: يعنى بدراستها وتحديد خواصها وعلاقتها بما عداها من الظواهر فهي فرع أساسي من فروع علم الاجتماع، يطلق عليه الاجتماع اللغوي.

3-خصائص الوظيفة الاجتماعية للغة

1-التلقائية: تنشأ اللغة بشكل عفوي وتلقائي، دون تخطيط مسبق من قبل الأفراد. وتتطور اللغة عبر الزمن بشكل تراكمي، حيث تُضاف مفردات جديدة وتُعدّل قواعدها.ويتعلم الأفراد اللغة بشكل طبيعي من خلال التفاعل مع محيطهم الاجتماعي.

2- الجماعية: اللغة ملكية جماعية، وليست حكراً على فردٍ واحد.و تُستخدم اللغة للتواصل بين أفراد المجتمع، وتُساهم في بناء الهوية الاجتماعية.وتُنظم اللغة من خلال القواعد والمعايير التي تُحددها الجماعة.

3- الترابط: ترتبط اللغة ارتباطًا وثيقًا بالثقافة والمجتمع.وتعكس اللغة قيم ومعتقدات المجتمع، وتُساهم في نقل التراث الثقافي.و تُستخدم اللغة للتعبير عن المشاعر والأفكار، وتُساهم في بناء العلاقات الاجتماعية.

4- التطور:اللغة ظاهرة ديناميكية تتطور باستمرار وتتأثر اللغة بالتغيرات الاجتماعية والثقافية، وتُساهم في التعبير عن هذه التغيرات وتُظهر اللغة قدرة على التكيف مع مختلف الظروف والاحتياجات.

5- التنوع: تتنوع اللغات بشكل كبير، حيث يوجد أكثر من 7000 لغة في العالم.ويُمكن أن تختلف اللغات في قواعدها ومفرداتها وطريقة نطقها ويُساهم التنوع اللغوي في إثراء الثقافة الإنسانية وتعزيز التواصل بين مختلف الشعوب.

6- التأثير: تُؤثر اللغة على سلوك الأفراد وتفكيرهم و تُستخدم اللغة للتأثير على الآخرين وإقناعهم بوجهة نظر معينة و تُستخدم اللغة في مختلف المجالات، مثل التعليم والسياسة والإعلام.

7-التعلم: يُعدّ تعلم اللغة عملية معقدة تتطلب مهارات مختلفة و يُمكن تعلم اللغة من خلال التعليم الرسمي أو من خلال التفاعل مع محيط اللغة و يُساهم تعلم اللغة في توسيع آفاق الفرد وتعزيز قدرته على التواصل مع الآخرين.

8- الإبداع: تُستخدم اللغة في التعبير عن الإبداع والابتكارو يُمكن استخدام اللغة في كتابة الشعر والروايات والموسيقى ويُساهم الإبداع اللغوي في إثراء الثقافة الإنسانية وتعزيز التعبير عن المشاعر والأفكار.

9- التغير: تتغير اللغة باستمرار، حيث تُضاف مفردات جديدة وتُعدّل قواعدها و قد تُؤدي التغيرات اللغوية إلى ظهور لهجات جديدة أو لغات جديدة و يُساهم التغير اللغوي في إثراء اللغة وتعزيز قدرتها على التكيف مع مختلف الظروف والاحتياجات.

10-التحديات: تواجه اللغة العديد من التحديات، مثل انتشار اللغات العالمية والهجرة والانقراض اللغوي.

من المهم حماية اللغات والحفاظ على تنوعها اللغوي و يُمكن حماية اللغة من خلال التعليم وتشجيع استخدامها في مختلف المجالات.

وعليه: تُعدّ اللغة ظاهرة اجتماعية معقدة تُؤثر بشكل كبير على حياة الأفراد والمجتمعات .تتميز اللغة بالعديد من الخصائص التي تجعلها أداةً أساسية للتواصل والتعبير عن المشاعر والأفكار وبناء العلاقات الاجتماعية.3

الهوامش

1-اللغة ، فندريس، ص: 35.

2- علم اللغة الاجتماعي، مقدمة نظرية، عبد الكريم بوفرة ،ص:18.

3-ينظر: قواعد المنهج في علم الاجتماع، اميل دور كايم، ص: 32.